

وقد ذهب متشيكوف في كتابه «اطالة العمر» الى ان الموت الطبيعي نادر جداً في الطبيعة لاسباب لا محل لبسطها في هذا المقال. فاذا صحت التجارب التي يجريها فورونوف وغيره لابعاد دور الشيخوخة والهرم كان ذلك خطوة واسعة في سبيل تأييد مذهب متشيكوف
هذه خلاصة المقالة. والدكتور سرج فورونوف معروف في هذه العاصمة حيث اقام بضع عشرة سنة وكان من اشهر اطبائها وطبيب شرف لسوا الخديوي السابق عباس حلي

اسباب الفوز في الحرب العظمى

(٢)

بسط الاميرال سمس الاميركي في القسم الاول من هذه المقالة الذي نشرناه في مقتطف يناير الحالى التي كان فيها الحلفاء قبلما انضمت اميركا اليهم وخلصتها ان الفوز كان مؤكداً للامان بسبب فعل غواصاتهم بالنفن البريطانية. وابتداء القسم الثاني من مقالته بقوله: — كيف تفوز اذاً على الغواصات اي كيف نتصر في هذه الحرب. ويحسن بنا قبل ان نجيب عن هذا السؤال ان نتفهم ما كان جارياً حول البلاد الانكليزية في الربيع والصيف من سنة ١٩١٧

فاذا لم نحسب لشرائع الدول ومطالب الانسانية حساباً فعمل الالمان البحري كان غاية في الاحكام من الجهة الحربية فانهم قصدوا ان تكون لهم الياقة البحرية التي كان لها دائماً القول الفصل في حروب الامم. والدولة التي في يدها زمام البحر يكون الفوز لها لان البحر يتكئها من الاتصال بحلفائها وبالبلدان البعيدة عنها لطلب ما تحتاج اليه منها ولا سيما الطعام لشعبها والمواد الاصلية لمعاملها والنخائر لجنودها. وتستطيع ان تحتفظ بتجارها التي تتوقف عليها حياتها. وتمكن من نقل جنودها الى مبادى القتال البعيدة عنها. وتحرم خصومها كل هذه المزايا بحصرهم حصراً بحرياً. وهي تفعل ذلك خفية مضمضة عينها عما ينتج الحصر البحري لاعداها

وكان الشائع في صحف الاخبار ان زمام البحر لا يزال في يد الاسطول

البريطاني ولم تنتبه الى حقيقة الحال الا في ربيع سنة ١٩١٧. ولم اعرف انا ذلك تمام المعرفة الا بعد ما اقت اياماً في مدينة لندن فعرفت حينئذ ان زمام البحر لم يكن في يد بريطانيا. ثم انة كان في يدها بالمضى الذي كان مفهوماً في عهد نلسن اي ان اسطولها كان حاصراً للاسطول الالماني ومانعاً اياه من الخروج الى عرض البحر. ولو حدث ذلك في الزمن النابر لكان دليلاً قاطعاً على الفوز ولكان يفوز الحلفاء حتماً. ولكن هذا الحصر ليس سيادة بحرية في عرفنا وانما هو سيادة سطحية. والسيادة الحقيقية لا تكفي بسيادة سطح البحر بل لا بد فيها من سيادة قلبه ايضاً. والدولة التي تفقد كل شهر من سفنها ما محمولة ٨٠٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠٠٠ طن كما كان الحلفاء يفقدون في ربيع سنة ١٩١٧ يستحيل ان يكون زمام البحر في يدها

ولقد كان غرض المانيا من حرب الغواصات الذي لم ترع فيه عهداً ولا الا ان تزع زمام البحر من يد انكلترا وتقبض عليه حتى نجيعها وقضطرها الى التسليم. وهذا سهل عليها لان الاطعمة التي تنتج من الجزائر البريطانية لا تكفي شعبها حتى كان هذه الجزائر خلقت والبحر يحيط بها لتكون هدفاً لسهام الغواصات. وعلى الضد من ذلك الولايات المتحدة الاميركية التي يستحيل حصرها وتجويعها بالغواصات لسعة محيطها وكثرة خيراتها ومعاملها وسهولة النقل فيها بما اندأته من سلك الحديد حتى صارت قادرة ان تقوم نفسها بنفسها وتستغني عن كل بلاد اخرى اما بريطانيا فتجلب جانباً كبيراً من اطعمة اهلها والمواد اللازمة لصناعهم من بلدان اخرى. وقد كان الطعام الذي فيها في شهر ابريل من سنة ١٩١٧ لا يكفي شعبها الا ستة اسابيع الى ثمانية. والسفن التي تحملها الاطعمة من قارات الارض كلها وتدخل البحر الارلندي والخليج الانكليزي فلا تضطر الغواصات لقطع السبل على هذه السفن ان تنتشر في الوف من الاميال كما لو قصدت قطع السبل على السفن القاصدة اميركا بل عليها ان تبرص لها في فسحة ممتدة الى الغرب والى الجنوب من ارلندا. والغواصات التي فعلت الفعل الذريع في تلك الجهات كانت كبيرة نوعاً تزيغ كل منها نحو ٨٠٠ طن وفيها من الترييد ثمانية الى اثني عشر ووقود يكفيها ثلاثة اسابيع الى اربعة. ولو ارادت لحقت من الوقود ما يكفيها اشهراً ولكن ليس العبء بالوقود بل بمقدار ما تستطيع حمله من الترييد فاذا

اطلقت كل ما معها من اضطرت ان تعود الى حيث تجد ترايد اخرى لتأتي بها ولما استولى الالمان على مدينة برج جعلوها قاعدة لغاراتهم وصاروا يبشرون الغواصات فيها ويصلحون ما يتخرب منها ويصنعون الترايد ايضا فصارت برج مياة لغواصاتهم اليها تلجأ ومنها تخرج وتهدد سواحل ايرلندا. وكان جواسيس الحلفاء اخبر من جواسيس الالمان فكان قلم المخابرات في الحكومة الانكليزية يعلم دائما كم عدد غواصات الالمان واين هي وكم عدد الغواصات التي يبشونها واين تبني ونوع بنائها والدرجة التي وصلوا اليها في بنائها

ولم يكن خروج الغواصات الى البحر بالامر السهل لان الحلفاء كانوا يبشرون الالمان في طريقها فينظر الالمان ان يزرعوها قبل سير الغواصة فلا تستطيع الخروج الى عرض البحر ما لم تستغل سبع سفن او عشر ساعات كثيرة في التفتيش عن الالمان واستخراجها من البحر ولذلك كنا نعلم بخروج كل غواصة وما نوعها ومن رباتها والى اين سارت وكنا نعرف موقع كل غواصة كل يوم ولتجل ذلك في خرائط معدة له . وكانت الغواصات دائما اقل مما يقول الذين يزعمون انهم رأوها . وقد افصح انه من كل ٣٠٠ غواصة زعم الناس انهم شاهدوها في مكان ما لا يكون هناك الا غواصة واحدة . ونظير ايضا ان الالمان لم يكونوا قادرين ان يرسلوا الى عرض البحر في وقت من الاوقات الا عشر ما عندهم من الغواصات ولو استطاعوا ان يقوا في عرض البحر مئة غواصة بين شتاء سنة ١٩١٦ وربيع سنة ١٩١٧ لمازوا في هذه الحرب على كل حال

وكانت غواصات الالمان تأتي شرقي اسكتلندا بكثرة منتظرة السفن التي تعمر بين انكلترا واسوج وزوج لتفتك بها . وكان عندهم غواصات اخرى كبيرة جدا تقطع الاوقيانوس تقرب كل منها ثلاثة آلاف طن والمرجح انها لم تسكن من اغراق سفينة من السفن وانما كان غرض الالمان منها اقران مدمرات الحلفاء حتى تتبعها وتكف عن تدمير الغواصات العادية

مقاومة الغواصات

اول شيء يخطر على البال في مقاومة الغواصات منعها من الخروج الى عرض البحر . وقد ذكر في كثير من كبار الضباط في هذا الموضوع ومألوفى عما

يحول دون منع القواصات من الخروج الى البحر. نقلت لهم ان الحرائل كثيرة اخصها استحالة الوصول الى الاماكن التي تخرج منها القواصات لان الالمان حصنوها بمدافع قطر فوهة كل منها من ٨ بوصات الى ١٥ بوصة اخفوها وراء التلال او داخل الخنادق مدى المدفع منها عشرون ميلاً ومدافع بوارجنا لا يزيد مداها على ١٥ ميلاً ومدافعهم ثابتة في اماكنها ومدافعنا متحركة في بوارجنا فاذا قصدتها بوارجنا كان مثلاً مثل مصارع ضرير يقع بين يدي مصارع بصير وبدا البصير اطول من يدي الضرير. ومهما كان عدد بوارجنا فان مدافع الالمان تتلها قبلما تدنو من الشاطئ وهذا اقصى ما يتناهى الالمان

وقد زعم بعض ربايين السفن التجارية انه اذا كانت في سفينة الواحد منهم مدفع فانه ينجو من القواصات او يفرقها وهذا خطأ لان مزية القواصة انها تفرض في الماء فلا ترى. وهي تفرق السفن من غير انذار وهذا هو السبب الذي حمل الولايات المتحدة على الانضمام الى الحلفاء. ولما اجيب طلب ربايين السفن التجارية وسئلت بالمدافع في صيف سنة ١٩١٧ اغرقت القواصات ثلاثين سفينة منها في ستة اسابيع. والسفن الحربية على كثرة مدافعها وعمران رجالها على اصابة الغرض لم يكن الانكليز يسحبون لسفينة منها بالسير الا ومعهام مدررة تقياشر القواصات لانها لا تستطيع ان تقي نفسها فكيف تستطيع ذلك سفينة تجارية

وقد قتل الالمان في صيف سنة ١٩١٧ من اغراق السفن التجارية الاميركية المسلحة لانهم كانوا واثقين ان الفوز لهم على كل حال فقصدوا ان يستميلوا الاميركيين جهدهم وبقوا للصلح محلاً

في ربيع سنة ١٩١٧ كانت وزارة البحرية الانكليزية تمشد في محاربة القواصات على طريقتين الطريقة الاولى بت الالغام في مداخل الاماكن التي تبني فيها القواصات وتخرج منها وتمود اليها مثل اوستند وزيروج وهليفولند. وقد كانت فائدة ذلك طفيفة جداً لان الالمان كانوا ينتشرون تلك الالغام حالماً بانث. والطريقة الثانية مقاومة القواصات بالسفن الصغيرة التي تتعقبها وتفرقها. وقد اعتمدت على هذه الطريقة لانها وجدتها اوفى من غيرها وانما ذلك كل المدمرات التي تستطيع الاستغناء عنها وكل اليخوت وسفن الصيد وكل سفينة

صغيرة تستطيع ان تحمل آلة تلغراف لاسلكي ومدفعاً وقنابل تنفجر بعدما لغوص في الماء . وافر تلك السفن بالفرس المدمرات لانها تستطيع ان تبعد في عرض البحر ولان الفواصات لا تعبر على محاربتها فعليها دون سواها كان الاعتماد ولذلك صار غرض الالمان الازماد بفواصاتهم عن المدمرات فالوا هذا الغرض في اوائل سنة ١٩١٢ وتمكنوا حينئذ من مهاجمة سفن الحلفاء من غير ان يقابلوا مدمراتهم لان المدمرات كانت وزعت حينئذ في اماكن اخرى لحراسة البوارج . اي ان حالة الحرب انالت الالمان غرضهم عنفوا . وقد بذل الانكليز همه الجبارة لكي يتخلصوا من حراج تلك الحالة فلم يستطيعوا لانه كان لا بد لهم من حماية بوارجهم ولان المدمرات ونحوها من السفن الصغيرة كانت قليلة عندم

فصارت المسئلة لدى الحلفاء مسئلة المدمرات . وقد كان عدد المدمرات البريطانية سنة ١٩١٢ نحو ٢٠٠ وكان الكثير منها قديماً وقد ضعف بتوالي استعماله مدة ثلاث سنوات . ولا بد من بقاء ١٠٠ مدمرة منها مع الاسطول الاكبر لانه كان دائماً على اهبة الحرب . وكان هم الالمان ايضاً موجهها الى المدمرات لانها هي القادرة على قهر الفواصات ولذلك اهتموا بجعل اسطولهم يهدد الاسطول البريطاني ويتظاهر بالخروج لقتاله فجأة حتى يضطر الانكليز ان يبقوا مدمراتهم مع اسطولهم . ثم ان الالمان تهددوا السفن التي جمعت مستشفيات للمرضى والجرحى من الجيش واغرقوا بعضها فعلاً فاضطرت انكلترا ان تحمي هذه السفن ببعض مدمراتها . ولو كان عقل الانكليز مثل عقل الالمان وآدابهم مثل آداب الالمان لفضلوا المخاطرة بمرضاهم وامرهم على المخاطرة ببلادهم كلها وتركوا سفن المستشفيات لرحمة الفواصات وابقوا مدمراتهم لوقاية سفن الطعام والدخيرة لان النفع الاكبر يقدي بالنفع الامتري لكن شفقتهم على المرضى والجرحى صرفتهم عن ذلك . ولما رأَت ألمانيا ان المدمرات صارت تصعب سفن المستشفيات لوقايتها عدلت عن اتباع هذه السفن بفواصاتها واقتصرت على ضرب السفن التجارية ونحوها

وكان على انكلترا ان تحمي ايضاً السفن التي تنقل جنودها الى فرنسا فنقلت في اربع سنوات عشرين مليوناً من الجنود ذهاباً واياباً (لان بعضهم ذهب وآب أكثر من مرتين) ولم يفقد منهم احد وذلك باستخدام خمسين او ستين مدمرة

تصعب النقلات. وتقلت أيضاً جنوداً كثيرة في البحر المتوسط الى ايطاليا ومصر وسورية والعراق. واضطرت ان توصل ارسال الطعام والدخيرة الى ايطاليا بمحابة السنن التي توصلها اليها والاعدت عن الانضمام الى الحلفاء ولذلك مجزت عن حماية طرقها التجارية لانها لم تستطع ان تضع فيها الا بضع مدمرات. والمدمرات تسير على وجه الماء والنواصات تحته فاذا تساوى عدد الطائفتين لم تستطع الاولى ان تنال من الثانية. وكانت النواصات تبنى مخفية تترقب السفن التجارية الى ان تدنو من المرافئ البريطانية فتهم عليها وتغرقها. وما بضع ما ذكرته في تقاريري التي كنت ابعث بها الى الحكومة في واشنطن

و ان الموقف الحربي من حيث فعل النواصات شديد الخطر. والامر المؤكد الذي لا مفر منه ان الفوز ليس في جانبنا بل في جانب العدو على ما يظهر. وستكون النتيجة من فشل الحلفاء الذين اخذنا بيدهم مهماً جدياً في نتائج البعيدة ولذلك يجب علينا ان ننظر بالامعان التام في كل عمل تقدم عليه حتى لا يرى فيه خلفاً لنا عملاً للانتقاد. والموقف الآن حرج جداً ولكن اذا استطعنا ان نضيف الى قوة الحلفاء مقداراً كافياً من قوتنا البحرية فارجح اننا نفوز على الالمان قريباً والأ فالحالة الحاضرة تدل على ان الفوز لهم

وقد اختلفت آراء رجالنا في المساعدة البحرية التي يجب ان نساعد الحلفاء بها فقال قوم ان نرسل اليهم اسطولنا الذي في الاوقيانوس الاثنتينيكي. ولو فعلنا لكان ذلك في مصلحة الالمان لاننا كنا نضطر ان نرسل بوارجنا الكبيرة ونموها بما يلزم لها من الزيت فيتعذر علينا ارسال الزيت الى البوارج البريطانية. وكان الزيت قد شح كثيراً حتى صدرت الاوامر الى البوارج البريطانية ان تجري دائماً بثلاثة احماس سرعتها الا عند الضرورة الشديدة. ولو علم الالمان ذلك حينئذ لاضطروا لاسطول البريطاني الى الجري في البحر دائماً حتى لا تبقى فيه قطرة زيت لتزيت آلاته فان اكثر هذا الزيت كان يوثى به من اميركا. ولو ارسلنا بوارجنا الى اوروبا لاضطروا ان نبتي معها كل مدمراتنا ولذلك لم أكد اصل الى لندن حتى ارسلت رسالة برقية الى وزارة البحرية لترسل اليّ حالا كل مدمراتنا وكل سفننا الحربية الصغيرة لكي تستخدم كلها في معاربة النواصات